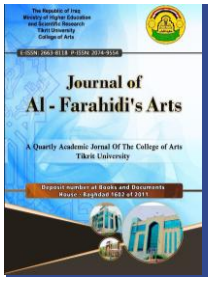

Tikrit University | جامعة تكريت
مجلة آداب الفراهيدي
Journal of Al-Farahidi's Arts

The Art of Presentation: A Critical Literary Reading of Introduction to Al-Nazrat by Al-Manfaluti

فـن التقـديم: قـراءة أدبيـة نقديـة فـي مقدمـــــة النظـــــرات للكاتـــــب المنفلوطي

Asst. Prof. Dr. Ahmed Abdul-Aziz Awad
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Anbar
Al-Anbar, Iraq

أ. م. د. أحمد عبد العزيز عواد
قسم اللغة العربية، كليه الآداب، جامعة الأنبار
الأنبار العراق

SUBMISSION التقديم	ACCEPTED القبول	E-PUBLISHED النشر الإلكتروني
12/02/2025	12/03/2025	25/03/2025

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 2663-8118 https://doi.org/10.25130/jaa.17.60.8 Vol (17) No (60) March (2025) P (95-115)

ABSTRACT

This study attempts to address the issue of proving the literary aspect of all the introductions that open books and research, especially literary ones, and that they are worthy of joining the group of prose literary arts such as stories, essays, oratory, maqama, and others. The research sheds light on the introduction to Al-Nazrat by the writer Al-Manfaluti, considering it an introduction that is suitable as a model for this study, which is based on tracking the literary characteristics of this type of art, and the extent to which its special conditions are available, while taking into account the literary and critical aspects inherent in the selected introduction, supported by evidence and examples.

الملخص

تحاول هذه الدراسة الوقوف على قضية إثبات الجانب الأدبي لمجمل المقدمات التي تُستفتح بها الكتب والبحوث ولا سيما الأدبية منها، وأنها جديرة بالانضمام إلى مجموعة الفنون الأدبية النثرية كالقصة والمقالة والخطابة والمقامة وغيرها، وقد سلط البحث الضوء على مقدمة النظرات للكاتب المنفلوطي بعدِّها مقدمةً تصلح نموذجًا لهذه الدراسة التي تقوم على تتبع الخصائص الأدبية لهذا النوع من الفنون، ومدى توافر الشروط الخاصة بها، مع مراعاة الجانبين الأدبي والنقدي الكامنين في المقدمة المختارة، مشفَّعة بالشواهد والأمثلة.

KEYWORDS

The Art of Presentation, Introduction to Views, Al-Manfaluti, Critical Reading, Literary Language, Critical Signals, Literary Reading, Literary Features, Emotional Aspect, Verbal Condensation

الكلمات المفتاحية

فن التقديم، مقدمة النظرات، المنفلوطي، قراءة نقدية، اللغة الأدبية، الإشارات النقدية، قراءة أدبية، السمات الأدبية، الجانب العاطفي، التكثيف اللفظي

Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

المقدمة:

فن التقديم أو التقديمات، وهو من الأشكال الكتابية الذي حاولتُ لفت النظر إليه وتسليط الضوء عليه؛ ذاك لأنه فنٌّ قد لا يُتنبَّه له، وليس هو محلَّ أنظار الأدباء في القديم أو حتى في وقتنا الحاضر، وتحديدًا ما يتعلق بالجانب الأدبي منه؛ لذا آثرت أن يكون هذا الموضوع واحدًا من الموضوعات المهمة التي يمكن أن نُخضعها للبحث والدراسة طمعًا في الخروج بما يستحق الإشادة والاهتمام، وبما يصلح أن يندرج ضمن الفنون الأدبية النثرية الحديثة أو المعاصرة.

أمّا العنوان فقد يظهرُ مستفزًّا ومثيرًا للدهشة بعض الشيء؛ لسببين اثنين:

الأول: هو أن تُولَى المقدمة أهمية تزيد وتكبر وتتعاظم؛ لتصير موضوعًا يفرِض نفسَه للدراسة والبحث.

الثاني: هو أنْ تُعامَلَ المقدمات كواحدٍ من الفنون الأدبية (النثرية) المتعارف عليها مثل القِصة والمقالة والمسرحية والخاطرة والمقامة والملحمة والاقصوصة، وغيرها من الفنون الأخرى .. وتصير لها مقوّماتٌ وشروطٌ ومزايا وخصائصُ وضروبٌ وأشكالٌ؛ بل لها كتُّابها الذين اشتهروا ببراعة التقديم وفنية الأداء.

حتى إننا لنجد من الأدباء مَن اشتهر بحبِّه لهذا النوع من الكتابة، فتراه إذا دُعي الى كتابة مقدمة ما لمؤلّف يُراد لسِفره الانتشار والذيوع وتمام الفائدة - مثلًا - لبَّى الدعوة وأظهر استعدادَه لذلك، وقدْ تراه أشدَّ استعدادًا وتلهفًا لتسطير مقدمته هو، حالَ انتهائه من تأليف كتاب، أو الفراغ من بحث أو نحو ذلك.

ولعلي أذكر على سبيل التمثيل والتأصيل ما يمكن أن أشفّع به موضوع البحث وعنوانَه، بالمرور على بعض المقدمات التي نالت شهرة واسعة في الأوساط الأدبية، وتركت أثرًا واضحًا لدى الدارسين، فكان لها صدًى كبيرٌ في مجمع الأدباء والنقاد .. من ذلك مقدمة اللزوميات لأبي العلاء المعرّي، ومقدمة شرح المرزوقي على حماسة أبي تمام .. أما مقدمة ابن خلدون فهي بلا شك أشهر من نار على علم، وهي مع كونها كتابًا من الحجم الكبير لمجموعة مجلدات؛ فإنها تبقى مُنطوية تحت اسم المقدمة، وهي من أروع ما كُتِبَ على مرّ العصور والأزمان؛ لما حوته من معارف وعلوم، ولما حفلت به من آراء وأفكار وإشارات ورموز، **هذا فضلاً عن أنها كُتبتْ بأسلوب أدبي رائق وشائق، ومن السهل الممتنع** الذي استحقت به أن تكون سببًا في التحول الذي طرأ على عصر ما قبل النهضة على يد الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما ممن تأثروا بهذا السفر العظيم وبأسلوبه، فأحدث في أساليبهم تطورًا وميلًا الى التسهيل بعد التعقيد، وإيثارَ المعنى على اللفظ لا العكس؛ حتى صار الكاتبُ محمد عبده يُدرِّسُهُ ويوصي طُلّابَه أن يدرّسوه ويُشيعُوه بين طلبة العلم وينهجوا نهجه في الكتابة والأسلوب، علمًا أن ابن خلدون رغم أنه خصّص الكتاب في علم الاجتماع والتاريخ بالمرتبة الأولى، فإنه لم ينسَ أن يمرّ على الأدب والشعر والنقد؛ ليكون لهما نصيبٌ في بعض صفحاته، وبما لا يخلو من الجدّة والبراعة وشيء من الإفادة والنجاعة.

أما في عصرنا الحديث فقد كثرت المقدمات وانتشرت وتنوعت وتطورت، حتى وجدنا من زادتْ مقدماته على مئة مقدمة كالعقاد مثلًا، وغيره ممن أُغرموا بهذا النوع من الشكل الكتابي، أو ممن أبدعوا فيه..

وثمة كتب أخرى دينية وعلمية اهتم مؤلفوها بمقدماتها فنالت شهرة كبيرة لا أقول طغت على الكتاب نفسه، وإنما حظيت باهتمام بالغ من لدن القراء؛ لما تضمنته من معلومات لا غنى لطالب علمٍ يريد التصدي للكتاب المقدّم له من قراءتها والاستفتاح بها قبل الولوج الى متن الكتاب الاصلي.

ما يهمنا أكثر هو الأسلوب البياني الأمثل، واللغة الشعرية الحاضرة، والجملة الأدبية الواضحة التي يتمتع بها كاتب المقدمة، هذه الأشياء التي إذا ما تعاضدت وتواطأت واجتمعت فإنها - حتمًا - ستصلُ بالمقدمات إلى المستوى الذي ترتقي به، فتكون في مصافي الفنون الأدبية الأخرى.

ثم لا بدَّ لي هنا من السعي الحثيث والعناية والتركيز أكثر محاولةً مِنّي لإبراز الجانب الأهم الذي يميز هذا النص الأدبي عن غيره، وهو ما يحتم عليَّ ابتداءً أن أرصد النصوص التي تصلح لما ذكرت وفيها من الخصائص والسمات ما يجعلها أهلاً لأن تكون فنًا من الفنون، وأن أصحابها والمختصين بها قد ينافسون على الصدارة مع غيرهم من الأدباء؛ لذا حرصت على اختيار ما تنطبق عليه الشروط - إن صح التعبير- وتحديدًا في

العصر الحديث الذي كثرت فيه مثلُ هذه الكتابة وشاعت، وعلى وفق ما ذكرنا من كونها **(مقدِّمةً مهمة لكتاب مهم)**.

فبعد التأمل والنظر آثرت أن أختار **مقدمة النظرات للكاتب المنفلوطي** لتكون نموذجًا عمليًّا صالحًا لما اصطلحتُ عليه **فن التقديم**، بعدِّها مقدمةً خضعت - برأيي - للشروط الفنية التي ذكرنا وأنها من الأهمية بمكان؛ بما نالته من عناية بالجانبين الأدبي والنقدي، فكانت بهذا وغيره جديرةً بالنقد والتحليل، وهو ما سيتضح من خلال المبحثين اللذين اعتمد عليهما البحث، وما حواه كلٌّ منهما من نصوص منقولة، وأخرى مقولة تكفَّلت بتأطير ما وقع عليه الاختيار، عن طريق الشرح والتحليل.

بدأت البحث **بمقدمةٍ** موجزة، أعقبها **تمهيد** أفصحت فيه عن أهمية المقدمات وعرَّفت فيه أيضًا بالمنفلوطي الكاتب، ثمَّ مبحثان اثنان، عالجت في **الأول** الجانب الأدبي الكامن في المقدمة، أما **المبحث الثاني** فتكفَّل برصد الجوانب النقدية التي توزَّعتْ على صفحات تلك المقدمة، وختمت البحث **بخاتمة** أجملت فيها أهم ما توصل إليه الباحث.. راجيًا المولى عزَّ وجلَّ السداد والتوفيق.. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

التمهيد:

أهمية المقدمات:

تأتي أهمية المقدمة التي تتصدر الكتب والمؤلفات من كونها تعطي الملخصَ المفيدَ لمحتوى الكتاب، كما أنَّها تعد بمنزلة العتبة الممهِّدة للموضوع، وفيها غالب مفاتيح ما يمكن أن يُستغلَق من مضامينِ الكتاب وأفكارِه، وبها أيضًا يستطيع القارئ أن يحصل على انطباع أوليٍّ عن قيمة الكتاب ومدى فائدته، ووجهة الكاتب ومذهبه، والغاية التي من أجلها أُلفَ الكتاب، والمرامي التي يهدف إليها المؤلف، والخطة التي سار عليها، والسبيل التي سلكها بغية الوصول الى النتائج التي توصّل اليها.. وأشياء أخرى.

ولقد رأيت من خلال التجربة أن من الكتّاب من يسحرك ببيانه وهو يقدم لمؤلف ما أو بحث معين بعباراته التي تنم عن عبقرية ونبوغ وحكمة، بما تشاهده من إقامة لوحة فنية مرصَّعة بالبلاغة والبيان، وكأني به عَصَرَ الكِتابَ فأخرجها منه، فكانت الموجز المختصر لتفاصيل السفر المنتظر، **كالزيات** في وحيه- مثلا - ...

ووجدت أيضًا من عَمَد إلى عنونة المقدمة ليدل على وجهته في الكتابة ومذهبه المعرفي من البداية، **كالر افعي** في وحيه أيضًا..

ومنهم من حرص على أن يصبغ مقدمته بصبغة نقدية أطال النفس فيها فامتدت واتسعت، طمعًا في تعليم النشء الكتابة من خلال عرض تجربته الشخصية، **كصاحبِنا المنفلوطي** في نظراته.

ومنهم من قدم لغيره فأبى إلا أن يكون منصفًا لا يحابي **كالعقاد** في مقدمته التي قدم به كتاب الغربال لصديقه في المذهب التجديدي ميخائيل نعيمة؛ إذْ رغم أنه محبٌّ لآرائه موافقٌ لنقده الذي صوَّبه تُجاه الخليل وعروضه وشوقي ومحافظته، وغيرهم ممن نعتهم بالرجعيين، رغم كل ذلك فإن العقاد اختار أن يكتب مقدمتَه بأسلوبٍ أدبيٍّ دبلوماسيٍّ محنَّكٍ؛ أيد فيه ميخائيل نعيمة من جهة، ولم يبخس خصومه حقَّهم من جهة أخرى، إنصافًا وعدلًا.

ولأهمية المقدمات عابَ كثيرٌ من العلماء والمفكرين على من يتجاهل قراءتَها فيتركها ويباشر الموضوع الذي يليها، كالذي قصد بيتًا ليدخله ونسي أن يأخذ معه المفتاح.. ومثله كمثل من قال في حقه نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ**»[1]. أي أنها ناقصة. ولله المثل الأعلى فالفاتحة سميت بهذا الاسم لأن بها يستفتح القرآن، وهي الموجز الأكيد والمختصر المفيد الذي شمل كل ما جاء في القرآن من صنوف الدين (عقائد، عبادات، أخلاق، معاملات).

وربما عابوا أيضًا على من يؤلف كتابًا ولا يضع له مقدمة يُصدِّرُ بها الكتاب ومادته، واتهموه بالإهمال والخرق الفني وشيء من اللامبالاة، وربما نعتوا فاعله بالقصور العلمي الذي يشي بالضعف المعرفي وعدم الإحاطة الشاملة بمادة الكتاب، وقد يصل الأمر بالبعض الى اتهامه بالسرقة والتلصص من الغير.

وجدير بالذكر أن من أبرز الأدباء الذين اشتهروا بغزارة التقديم - كما أسلفت - الكاتب والشاعر **(عباس محمود العقاد)** الذي جُمعت مقدماته فيما بعد في كتاب عنوانه: (**مقدمات العقاد**) جمعها واعتنى بها الدكتور: **(عبد الرحمن بن حسن قائد)** وقدَّم لها بمقدمة طويلة بلغت أربعين صفحة، وقد ضمَّ الكتاب مئة مقدمة وواحدة، لمختلف الكتب وفي شتى المعارف لجمهرة من الأدباء والمفكرين من الشرق والغرب (١).

يقول الدكتور عبد الرحمن في مقدمته الماتعة:

(ويتفاوت المقدِّمون في إجادة تقديمهم لكتب غيرهم، بحسب منازلهم من التحري والتثبت، والعلم والمعرفة، والبصر والعناية بموضوع الكتاب خاصة، فمنهم الظالم لنفسه المتكلف ما ليس له به شأن، ومنهم المقتصد القائم بحق التقديم كما ينبغي له، ومنهم السابق بالإحسان الذي ربما كانت مقدمته أهم من الكتاب الذي يقدم له وأكثر غناء ونفعا، ومن أولئك السابقين الأستاذ عباس محمود العقاد، كما أشار لذلك أخي الأديب المثقف المتفنن الشيخ عبد الله الهدلق، وأخبر أنه ذكره للشيخ العلامة بكر أبو زيد فأعجبه، وقد أسف على إكثاره من كتابة المقدمات في آونته الأخيرة) [٢].

ومن أولئك الذين أغرموا أيضًا في كتابة المقدمات الأستاذ الكبير والأديب الشهير الشيخ **(علي الطنطاوي)**..

يقول في مقدمته لكتاب شقيقه الأستاذ ناجي الطنطاوي : (ولقد سبق أن قدمت لأكثر من خمسين كتابًا في أكثر من خمسين سنة ، أولها كان لصحفي ناشئ اسمه عباس الحامض ، صار من بعد صحفيًّا معروفًا .. وآخرها مقدمة شرَّفني بها الداعية الكبير أخي الأستاذ أبو الحسن الندوي)[٣].

ويقول في مقدمته لكتاب الدكتور حسان شمسي باشا: (ولقد كتبت المقدمات لأكثر من خمسين كتابًا في أكثر من خمسين سنة، منها ما هو لمؤلف مبتدئ أعرِّف به وأدلهم على فضله .. ومنها ما هو لأساتذة كبار ما هم بحاجة إلى مقالة مني أقدم بها كتبهم؛ ولكنهم أرادوا تكريمي بضم اسمي إلى أسمائهم)[٤].

وفي مكان آخر يقول الطنطاوي رحمه الله مُعربا عن عدد مقدماته ومبينا مآرب بعض أهل التأليف ومراميهم تجاه من يقدم لهم، في ذلك يقول الطنطاوي في مقدمة كتابه: (لقد كتبت مقدمات لأكثر من أربعين كتابا من مؤلفيها من هو مبتدئ يعتمد على مقدمتي فيرى الناس كتابه ، ومنهم من هو مثلي لا يحتاج إليَّ؛ ولكن يُنوِّع مائدته، حين يضع مقدمتي مع كتابه، ومنهم من هو أفضل مني ولكنَّه كرَّمني حين جعلني أقدِّم كتابه للناس)[٥].

بين التقريظ والتقديم:

لا شك أن التقريظ نوع من الكتابة التي كثيرًا ما تقترن بالمقدمة التي تتصدر المؤلفات؛ إلا أن ما يميزها عن المقدمة الأصلية هو المبالغة في المدح والإطراء المبالغ فيهما لصاحب الكتاب وكتابه أو بحثه، علمًا أن المقدمة قد تتضمن بعضًا من الثناء المذكور؛ لكن بشكل أقل؛ لذلك (يرى بعض النقاد أن التقديم تطوير لمنهجية التقريظ، ومرحلة متقدمة عليه، جاءت لإضفاء ما هو أكثر من إفادة المدح، وفيه يتم إعطاء فكرة ورؤية حول موضوع الكتاب، قد تكون فوائد متممة لما جاء به المؤلف، وهي لا تخلو بطبيعة الحال من الإشادة بالكتاب ومحتواه والكاتب ومنهجيته)[٦].

وعلى ذلك فإن التقريظ والتقديم لهما أشياءُ يلتقيان فيها وفي المقابل ثمة ما يفترقان فيه، فهما (يجتمعان في دائرة المدح والثناء والإشارة إلى بعض المحتوى، ويفرق التقريظ التقديم في المبالغة في المدح والثناء، كما يفارق التقديم التقريظ في كونه قد يطول أحيانا ليصبح دراسة، ويعرض لمحتوى الكتاب ومنهجيته بشيء من التفصيل). [٧]

وقد بين الكاتب (أديب **عبد القادر أبو المكارم**) في كتابه (ظاهرة **التقريظ والتقديم في الأدب العربي - الشيخ الصفار نموذجا**) الغايات من التقريظ والتقديم وعدَّها ستًّا، وهي باختصار[٨]:

١- بيان أهمية الكتاب والكاتب.

٢- التغني بأمجاد الماضي.

٣- العناية بالتراث العلمي.

٤- تواصل بين الأجيال.

٥- تشجيع ودعم الإبداع والأقلام الواعدة.

٦- تسويق الكتاب تجاريًا.

المنفلوطي في سطور:

مصطفى لطفي المنفلوطي ١٨٧٦-١٩٢٤:

رائد من رواد النهضة الحديثة، وصاحب رسالة وفكر، يحمل أدبه سمات المجتمع، وتتوفر فيه خلال البيئة وصفات صاحبه، وهذا لا يتوفر لدى الكثير من أترابه ولداته، علت منزلته، وارتقت مكانته بين أدباء عصره لكثرة ما كتب قلمه، ودبج براعه، وفاض به خاطره، فترسم الناشئة خطاه، وساروا على هداه، ونسجوا على منواله.

كان المنفلوطي كلفًا بالقراءة، يجد سلوة في الكتاب مما وثق المحبة بينه وبين الثقافة، لذا فقد ترك أعمالًا أدبية كبيرة، تعرب عن موهبة أصيلة، وتشهد له بالفطنة والخلود, أشهرها "النظرات" التي جاءت حصيلة كتاباته في صحيفة "المؤيد" وكان لها من الأثر ما كان، بفضل حسن العرض، وسلامة التراكيب، وإيحاء الجمل، وجمال التعبير، وجلال التصوير.

أسلوب المنفلوطي:

المنفلوطي من أشهر كتاب المقال منذ راد الكتابة الشيخ محمد عبده، نالت مقالاته رضا القراء، وتقدير الجمهور لتصويرها ما يلائم العصر، مع إشراق الديباجة، وسلامة الأسلوب, وصف أحمد حسن الزيات أسلوب المنفلوطي وديباجته فقال: "أشرق أسلوب المنفلوطي على وجه "المؤيد" إشراق البشاشة، وسطع في أندية الأدب سطوع العبير، ورن في أسماع الأدباء رنين القلم، ورأى القراء الأدباء في هذا الفن الجديد ما لم يروا في فقرات الجاحظ، وسبحات البديع، وما لا يرون في غثاثة الصحافة، وركاكة الترجمة. [٩]

وعرف المنفلوطي بميله إلى المبالغة في إيراد الصفات المؤكدة التي تكسب الكلام قوة وتأثيرًا، والاهتمام بجمال العبارة، والعناية بالصياغة، وأهم ما يميز أسلوبه ما يلي:

١- إيثار الجمل القصيرة الموجبة التي تمتاز بالسلامة، وتخلو من كل ما يشين التعبير، ويصم الأسلوب.

٢- الاهتمام بحسن الصياغة، وجمال الإيقاع، والاعتماد على الألفاظ العربية، والعبارات الفصيحة، والأساليب الصحيحة.

٣- البعد عن التكلف والتقليد والقصد إلى الصدق والأصالة، والجمع بين الجدة والطرافة، والتفوق على الأساليب التي عاصرها.

٤- يتسم بالرقة والدقة، والروعة والقوة، ويميل إلى السهولة والترسل، مع الخلو مما يعيب التراكيب والصياغة، بطريقة بيانية أخاذة.

٥- رعاية جمال الأسلوب دون الاعتماد على المحسنات، باستثناء السجع المطبوع للإسهام في موسيقى الصياغة، والعناية بتحرك العاطفة وهزها بمختلف الأساليب.

وخلاصة القول فإن أسلوب المنفلوطي يتميز بأنه ذاتي مستقل، أنشأه بقوة طبعه، وسلامة فطرته، وحسن ذوقه على أحسن مثال. وإذا كان الأدب الفرنسي يعتبر "ميشيل دي مونتين" رائد المقال الأدبي الحديث، والأدب الإنجليزي يفخر بفرانسيس بيكون في هذا المجال، فإن المنفلوطي رائد المقال الأدبي في العصر الحديث [١٠].

المبحث الأول: السمات الأدبية للمقدمة:

حفلت المقدمة المثيرة التي سطرها يراع الكاتب المنفلوطي بكثير من الأساليب الأدبية والتعابير الفنية واللغة الشعرية التي ارتقت بها المقدمة - ابتداءً - إلى مصافي الفنون النثرية التي تحسن عند أرباب الذوق الأدبي ممن يفرّقون بين الكلام العادي والآخر الأدبي ...

ومن جملة تلك الأساليب وهاتيك الأفانين ما يأتي:

أولًا: براعة الاستهلال:

ويظهر ذلك في صيغة الاستفهام التي افتتح بها المنفلوطي مقدمته، والتي أراد استفزاز القارئ منذ السطر الأول فيها؛ فهو يعلم أنها طويلة وتحتاج إلى محطات متنوعة تسهم في النأي عن الملل، والعمل على تقريب المسافات؛ لذلك عمد أولًا إلى السؤال الذي عبَّر عنه بقوله: (يسألني كثيرٌ من الناس - كَشَأْنهم في سؤال الكُتَّاب والشعراء - كيف أكتب رسائلي؟ كأنما يريدون أن يعرفوا الطريق التي أسلكها إليها فيسلكوها معي، وخيرٌ لهم ألَّا يفعلوا، فإني لا أحبُّ لهم ولا لأحدٍ من الشادِينَ في الأدب أن يكونوا مُقيَّدين في الكتابة بطريقتي، أو طريقة أحدٍ من الكُتَّاب غيري. وليعلموا - إن كانوا يعتقدون لي شيئًا من الفضل في هذا الأمر - أني ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل التي يعلمونها بهذا الأسلوب الذي يزعُمون أنهم يعرفون لي الفضل فيه، إلَّا لأني استطعت أن أتفلَّت من قيود التمثُّل والاحتذاء، وما نفعني في ذلك شيءٌ ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤها عليَّ، وعجزها عن أن تمسك إلَّا قليلًا من المقروءات التي كانت تمر بي، فلقد كنت أقرأ من منثور القول ومنظومه ما شاء الله أن أقرأ، ثم لا ألبث أن أنساه، فلا يبقى منه في ذاكرتي إلا جمالُ آثاره وروعة حسنه ورنةُ الطرب به).[١١]

ثم لتأتي الإجابة على الفور فتقف معلمًا من أهم معالم الفن الكتابي لدى المنفلوطي حين يردُّ على سؤال أصحابه الذين نصحهم بأن لا يفعلوا، أي لا يحاولوا السير على خطوات يؤطِّرُها لهم؛ وإنما الواجب عليهم أن يعوا جيدًا هذه الحقيقة، ومفادها: (... لأني استطعت أن أتفلَّت من قيود التمثُّل والاحتذاء، وما نفعني في ذلك شيءٌ ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤها عليَّ، وعجزها عن أن تمسك إلَّا قليلًا من المقروءات التي كانت تمر بي، فلقد كنت أقرأ من منثور القول ومنظومه ما شاء الله أن أقرأ، ثم لا ألبث أن أنساه، فلا يبقى منه في ذاكرتي إلا جمالُ آثاره وروعة حسنه ورنةُ الطرب به.

وما أذكر أني نظرتُ في شيءٍ من ذلك لأَخْشُوَ به حافظتي، أو أستعينَ به على تهذيب بياني، أو تقويم لساني، أو تكثير مادة علمي باللغة والأدب، بل كل ما كان من أمري أنني كنت امرأً أحب الجمال وأفتتن به ...) [١٢].

وقد أحسن المنفلوطي حين امتطى السؤال - أولًا - جسرًا للوصول الأسرع إلى قلب القارئ قبل سمعه وبصره، حين رمى بسؤاله الذي ضمن به مواصلة السير الجماهيري معه حتى نهاية المقدمة، **بوعيٍ ذكيٍّ وقلمٍ سخيٍّ وقلبٍ فتيٍّ..**

ثانيًا: طغيان الجانب العاطفي:

وهي من الصفات التي لازمت الكاتب المنفلوطي طَوال حياته حتى التصقت به التصاقًا، فكان أنْ عُدَّ به أحدَ زعماء ما تسمى بـ(مدرسة **الأدب الحزين**)؛ إذْ كثيرًا ما نجد نصوصه تصطبغ بصبغة الحزن المبرَّأ - بطبيعة الحال - من اليأسِ والجزعِ والقنوطِ، والنائي عن التشاؤم والتبرّم..

ولعل ذلك الذي ذكر نتج عن حياة البؤس التي عاشها - رحمه الله - وصعوبة العيش وتعاقب الابتلاءات والتفكير الدائم في البحث عن المخرج لما تعانيه الأمة العربية والإسلامية آنذاك والسعي في الإصلاح والتغيير، وقد جعل من الأدب وسيلة لمواجهة كل ذلك **متحملًا إزاء النجاح المطلوب والعيش المرغوب والمستقبل المحبوب كل ألوان المشقة واللغوب** .. فوجد في مفردات العاطفة مركبًا يصل به إلى مرفأ القلوب الحائرة ليبث لها همومه ويرسل شجونه علها تلقى تناغمًا وتلاقحًا، وقد حصل له ما أراد، حتى صار بهذا وذاك ملجئًا للحائرين ومأوى للتائهين وأمانًا للخائفين، وسلوى للمحزونين ممن ضيعوا البوصلة وتشعبوا في متاهات التجارب والتحارب والتخارب.

وهذا وغيره أغرى المنفلوطي وحفزه على أن ينهج نهج العشاق في استمالة قلوب من يحبون، فكانت كلماته وجمله وعباراته ونصوصه عمومًا مُطعَّمة بالعاطفة تهفو إلى مخاطبة الأرواح والقلوب قبل الجسوم والعقول، يحدوها في كل ذلك توفيق مبين وصدق أمين وحزن دفين؛ لذا تراه في سائر مقالاته يتكئ على ما ذكرت. كما لم تخل المقدمة أيضا من بعض ذلك .. فلفظة (**الشادين**) و (**رنة الطرب**) و (**المستهتر**) وغيرها من

الألفاظ الرقراقة التي لم تعدمها المقدمة لتكون برهانًا صـادقًا على الملاذ الآمن الذي يأوي إليه المنفلوطي في أكثر كتاباته الأدبية، ومنها هذه المقدمة.

ثالثًا: الاتكاء على الإيقاع الداخلي ... المتولد من السجع والجناس والتقسيم الصوتي والطباق:

كعادة المنفلوطي في محاولته جلب أنظار محبيه من القراء بتقديم ما هو مسـلٍّ وجميل ونافع وأصـيل؛ لكنْ هذه المرة يحاول لفت الانتباه بهذا الإيقاع الداخلي الذي يسـتعيض بع عن الوزن والقافية الحاصـلين في الشعر؛ إذْ يطرّز نثره بجرس الألفاظ والتقسيم الصوتي الحاضر كلما اقتضى المعنى في مقطع من مقاطع المقدمة يكسر به الرتابة ويمحو الضمور الذي قد يطرأ على الكتابة النثرية.. فبين مقطع وآخر نسمع جناسًا هنا وجناسًا هناك يخبرنا عن قيمة المعنى بوقع المبنى، وتكرار على غرار المنبه الأسـلوبي، ورد للأعجاز على الصـدور وغير ذلك من جماليات اللفظ التي لم تغب عن إدراك المنفلوطي حال الكتابة وتوجيه الرسـالة الأدبية الحافلة بإرادة الفائدة، ولو كانت مقدمة .. **ولنسمعه مثلا يقول:**

(... فإذا جَدَّ الجِدُّ أكلَتِ القِدَّ واشـتوتِ الجلدَ، وتبلَّعت بالضَّـبِّ واليربوع وعراقيب الآبال، وأظلاف الأبقار، واكتفاءها من اللباس بأكسية الكرابيس وأردية الأشعار، وقُمْص الأوبار، فإذا أعوزها ذلك لبست الظل، وافترشت الرمل، غير ناقمةٍ ولا ساخطة ولا متبرّمةٍ بقضاء الله وقدره في قسمة أرزاقه بين عباده، ولا باكيةٍ حظها من رخاء العيش ولينه.

ثم أراها بعد ذلك وقد أنعم الله عليها بنعمة المدنيَّة الإسـلامية، فأرى رَغَد عيشـها، ولين طعامها، واعشوشاب جانبها، وعذوبة مواردها ومصادرها، وسرورها وغبطتها بما أفاء الله عليها من ذخائر الفرس وأعلاق الروم، وامتلاء قصورها باللؤلؤ المنظوم من القِيان، واللؤلؤ المنثور من الوِلْدَان.

وأرى مجالس غنائها، ومجامع أنسـها، ومسـارح لهوها، ومجاملات سـبقها، وملاعب جيادها، ومذاهب طرائدها، ومواقف حَجِّها، وازدحام شعرائها على أبواب أمرائها، وجوائز أمرائها في أيدي شعرائها، وانطلاق ألسنتها بوصف ما تشاء من الأعواد والبرابط والمعازف والمزاهر، والأقداح والدِّنان، والموائد والصحف، وألوان الطعام؛ حُلْوِهِ وحامضـه، وأصـناف الشَّـراب؛ حلالِهِ وحرامِهِ، والطيور المحلقة في الأجواء، والسـفن الذَّاهبة في الدَّأماء، والرياض الخضـراء، والغابات الشجراء، والقصـور وتماثيلها، والبحيرات وأسـماكها، والأنهار وشـواطئها، والأزهار ونفحاتها، والغيوث وقطراتها، ودبيب الحُبِّ في القلب، والغناء في السمع، والصهباء في الأعضاء، وخلجة الشك، ولمحة الفكر، وبارقة المنى) [١٣].

ومن الطباق قوله:

(... وتهافـت ذلـك الحـاجز الحصـين الـذي كـان قائمًـا بـين الحقيقـة والمجـاز، والحقيقـة والخيـال، فبغى بعـض الكلـم على بعـض، وعـاث كلٌّ منهمـا في تربـة صـاحبه إقبـالًا وإدبـارًا، وجيئـةً وذهوبًـا، وصـعودًا ونـزولًا، فاسـتطاع الواغلـون في الـدين والناصـبون لـه أن يُـدخلوا عليـه الأحاديـث المنحولـة الغريبـة في أسـاليبها عـن منـاهج العـرب ومنـاحيهم مـا لا يضـبطه الحسـابُ كثـرةً، فهلكـت الأمـة بـين هـذا وذاك هُلكًا لا تزال تتجرع كأسه المريرة حتى اليوم [14].

ومن التقسيم الإيقاعي وشيء من ردِّ الأعجاز على الصدور قوله:

(ورأيت الدين - وهو دوحة السلام الخضراء التي يستظل بها الضاحون من لفحات الحياة وزفراتها - قد استحال في أيدي الناس إلى سهامٍ مسمومةٍ يحاول كلٌّ منهم أن يصيب بها كبد أخيه فلا يخطئها.

ورأيت ضلال الأسماء عن مسمياتها، وحيرة مسمياتها بينها، واضطراب الحدود والتعاريف عن أماكنها ومواقفها، حتى دخل فيها ما لم يكن داخلًا، وخرج منها ما لم يكن خارجًا، فَسُمِّيَ الشُّحُّ اقتصادًا، والكرم إسرافًا، والحِلْمُ جبنًا، والسَّـمَاجَةُ جرأةً، والسـفاهة براعةً، والفجور فتوةً، والتبذل حرية. واشـتبهت طرق الفضـيلة ومسـالكُها على من يريد ركوبها؛ لأنه يجد على رأس كل واحدةٍ منها زعيمًا من زعماء الخديعة والكذب يصرفه عنها إلى غيرها) [15].

رابعاً: الافتتان بالجمال ومفرداته:

إذْ ليس من المعقول أن نرى أديبًا كالمنفلوطي بإحساسه المرهف وفهمه المعرَّف وطبعه الصافي وشعوره الوافي، تغيب عنه تلك السياحة في عالم من الجمال الذي تترجمه كلمات مختارة من عبق المصادر مدعومة بأخرى من شذى المراجع يطوف بها المتلقي في جنان الحروف ومزارع الكلمات وشواطئ الجمل وندى العبارات وأفلاك النصوص الباهرات.

وكيف لمن اعتادت حياته أن تجهش بالحب والحزن أن يغادر الفن والجمال اللذين يخرجان مع الأوليين من مشكاة واحدة؟!

فها هو صاحب المقدمة يمرُّ على بعض من هذا فيقول:

(... وما أذكر أني نظرتُ في شيءٍ من ذلك لأَحْشُوَ به حافظتي، أو أستعينَ به على تهذيب بياني، أو تقويم لساني، أو تكثير مادة علمي باللغة والأدب، بل كل ما كان من أمري أنني كنت امرأً أحب الجمال وأفتتن به كلما رأيته في صورة الإنسان، أو مطلع البدر، أو مَغْرِب الشمس، أو هَجْعَةِ الليل، أو يَقَظةِ الفجر، أو قمم الجبال، أو سُفوح التِّلال، أو شواطئ الأنهار، أو أمواج البحار، أو نَغْمة الغناء، أو رنَّة الحُدَاء، أو مجتمع الأطيار، أو منتثر الأزهار، أو رقة الحس، أو عذوبة النفس، أو بيت الشعر، أو قطعة النثر. فكنت أَمُرُّ بروض البيان مَرًّا، فإذا لاحت لي زهرةٌ جميلة بين أزهاره تتألق في غصن زاهر بين أغصانه، وقفت بين يديها وقفة المعجب بها، الحاني عليها، المستهتر بحسن تكوينها وإشراق منظرها، من حيث لا أريد اقتطافَها أو إزعاجَها من مكانها، ثم أتركها حيث هي، وقد عَلِقَتْ بنفسي صورتها إلى أخرى غيرها.

وهكذا حتى أخرج من ذلك الروض بنفسٍ تطير سرورًا به، وتسيل وجدًا عليه، وما هو إلَّا أنْ درت ببعض تلك الرياض بعض دَورات، ووقفت على أزهارها بعض وقفات، حتى شعرت أن قد بُدِّلْتُ بنفسي نفسًا غيرها، وأنَّ بين جنبيَّ حالًا غريبة لا عهدَ لي بمثلها من قبل، فأصبحت أرى الأشياء بعينٍ غير التي كنت أراها بها، وأرى فيها من المعاني الغريبة المؤثرة ما يملأ العين حُسنًا، والنفس بهجةً)[16].

خامسًا: المزج بين الشعر والنثر:

من الأساليب المحببة لدى القراء ولا سيما عند قراءتهم للنصوص النثرية أن يجدوا أبياتًا للشعر مبثوثة هنا وهناك تتخلل المقاطع والمشاهد والمواقف والمسارد، هي بمثابة محطات يستريح فيها القارئ من كدٍّ ونصب، ويستيقظ من سِنة الخفوت التي قد يحدثها غالب النثر خلافًا لغالب الشعر. وهذه القفزات الإيقاعية تشكل سمة بارزة عند المنفلوطي في مقدمته المطروحة للنقد والتأمل، وفي معظم مقالاته الحافلة بالسجع والترسّل، وهو أسلوب من أساليب القدماء الذي لاقى استحسانًا عندهم وعندنا.. والناظر في المقدمة يلحظ هذا الأسلوب واضحًا كالضوء ليس دونه حجاب.

سادسًا: الغوص في أعماق الأشياء ومحاولة انتشال جوهرها واستجلاء مكنونها والبحث في سرها:

وهذه سمة أخرى تميز بها المنفلوطي في مقدمته خاصة وفي مجمل أدبه عامة، فقد حُبِّبَ إليه البحثُ في باطن الأشياء متجاوزًا ظاهرها، والنظرُ في سرِّ الحقائق غير مكتف بمعناها؛ لذا نراه يطيل الوقوف عند المسائل والحوادث أملًا في استخراج كنهها وما تنطوي عليه من جديد يرغب القارئ في تحصيله.

وفي مثل ذلك نجده يقول:

(... فقد كنت أرى الناس فرأيت نفوسهم، وأرى الجمال فرأيت لُبَّه وجوهرَه، وأرى الخير فرأيت حُسْنَه، وأرى الشر فرأيت قبحه، وأرى النعماء فرأيت ابتساماتها، وأرى البأساء فرأيت مدامعها، وأرى العيون فرأيت السحر الكامن في محاجرها، وأرى الثغور فرأيت الخمر المترقرقة بين ثناياها.

وكنت أرى الشمس فرأيت خيوطها الفضيةَ الهفافةَ بين السماء والأرض، وأرى القمر فرأيت شعاعَه كأنما يَهُمُّ أن ينبسط حتى يفيض عن جوانبه فيضًا، وأرى الفجر فرأيت بياضه وهو يَدِبُّ في تجاليد الظلام دبيبَ المشيب في تجاليد الشباب، وأرى النجوم فرأيت عيونَها الذهبية تُطلُّ على الكون من فروج قميص الليل، وأرى الليل فرأيته وهو يهوي بأجنحته السوداء إلى الأرض هُوِيَّ الكرى إلى الأجفان.

وكنت أسمع خريرَ المياه فسمعت مناجاتَها، وحفيفَ الأوراق ففهمت نغماتِها، وتغريدَ الأطيار فعرفت لغاتها؛ فأحببت الأدب حبًّا جمًّا ملأ ما بين جَانِحَتَيَّ، فلم تكن ساعةٌ من الساعات أحبَّ إليَّ ولا آثر عندي من ساعةٍ أخلو فيها بنفسي، وأمسك عليَّ بابي ثم أسلم نفسي إلى كتابي، فَيُخَيَّلُ إليَّ كأني قد انتقلت من هذا العالم الذي أنا فيه إلى عالمٍ آخر من عوالم التاريخ الغابر، فأشاهدُ بعينيَّ تلك العصور الجميلة، عصور العربية الأولى، وأرى العرب في جاهليتها بين خيامها وأخبيتها، وأطنابها، وأعوادها، وإبلها وشائها، وشيحها وقيصومها، وأرى مساجلاتها ومنافراتها، وحبها وغرامها، وعفتها ووفاءها، وصبرها وبلاءها، وحُدَاءَها وغِناءَها، وأسواق شعرائها، وموقف خطبائها، وفقرَها وإقلالَها، وشحوبَ وجوهها، وسُمْرَةَ ألوانها، وَضَوَى أجسامها، وترددها في بَيْدائها بين حمارَّة القيظ وصبارَّة البرد، وتنقلها من صحراء إلى ريفٍ، ومن مَشْتًى إلى مصيفٍ، ومن نجدٍ إلى وَهْد، ومن شرفٍ إلى غور، وانتجاعها مواقع الغيث، ومنابت العشب، وقناعتها من الطعام بأحفان التمر، وقعاب اللبن وأُصُوع الشعير، فإذا جَدَّ الجِدُّ أكلَتِ القِدَّ واشتوتِ الجلدَ، وتبلَّعت بالضَّبِّ واليربوع وعراقيب الآبال، وأظلاف الأبقار، واكتفاءها من اللباس بأكسية الكرابيس وأردية الأشعار، وقُمُص الأوبار، فإذا أعوزها ذلك لبست الظل، وافترشت الرمل، غير ناقمةٍ ولا ساخطة ولا متبرِّمةٍ بقضاء الله وقدره في قسمة أرزاقه بين عباده، ولا باكيةٍ حظها من رخاء العيش ولينه.

ثم أراها بعد ذلك وقد أنعم الله عليها بنعمة المدنيَّة الإسلامية، فأرى رَغَد عيشها، ولين طعامها، واعشوشاب جانبها، وعذوبة مواردها ومصادرها، وسرورها وغبطتها بما أفاء الله عليها من ذخائر الفرس وأعلاق الروم، وامتلاء قصورها باللؤلؤ المنظوم من القِيان، واللؤلؤ المنثور من الوِلْدَان.

وأرى مجالس غنائها، ومجامع أنسها، ومسارح لهوها، ومجاملات سبقها، وملاعب جيادها، ومذاهب طرائدها، ومواقف حَجِّها، وازدحام شعرائها على أبواب أمرائها، وجوائز أمرائها في أيدي شعرائها، وانطلاق ألسنتها بوصف ما تشاء من الأعواد والبرابط والمعازف والمزاهر، والأقداح والدِّنان، والموائد والصحف، وألوان الطعام؛ حُلْوِهِ وحامضه، وأصناف الشَّراب؛ حلالِهِ وحرامِهِ، والطيور المحلقة في الأجواء، والسفن الذَّاهبة في الدَّأماء، والرياض الخضراء، والغابات الشجراء، والقصور وتماثيلها، والبحيرات وأسماكها، والأنهار وشواطئها، والأزهار ونفحاتها، والغيوث وقطراتها، ودبيب الحُبِّ في القلب، والغناء في السمع، والصهباء في الأعضاء، وخلجة الشك، ولمحة الفكر، وبارقة المنى)[17].

سابعا:

ولعل مرد ذلك أن الكاتب يطمح إلى منح القارئ أكبر قدر من الألفاظ التي يحتاجها في إغناء نفسه بالألفاظ المنوعة والمرادفات المعجمية، وكأنه يعمد إلى ما يصدق عليه الأسلوب التعليمي؛ لكنه هنا لا يأتي مجردًا من القيمة الفنية للعبارة، وإنما يحاول أديبنا الجمع بين كليهما غاية واختصارا..

وهذا الأسلوب يردُ كثيرًا في مقدمة المنفلوطي وأدبه ومن ذلك مثلا:

(... وأرى العرب في جاهليتها بين خيامها وأخبيتها، وأطنابها، وأعوادها، وإبلها وشائها، وشيحها وقيصومها، وأرى مساجلاتها ومنافراتها، وحبها وغرامها، وعفتها ووفاءها، وصبرها وبلاءها، وحُدَاءَها وغِناءَها، وأسواق شعرائها، وموقف خطبائها، وفقرَها وإقلالَها، وشحوبَ وجوهها، وسُمْرَةَ ألوانها، وَضَوَى أجسامها، وترددها في بَيْدائها بين حمارَّة القيظ وصبارَّة البرد، وتنقلها من صحراء إلى ريفٍ، ومن مَشْتًى إلى مصيفٍ، ومن نجدٍ إلى وَهْد، ومن شرفٍ إلى غور، وانتجاعها مواقع الغيث، ومنابت العشب، وقناعتها من الطعام بأحفان التمر، وقعاب اللبن وأُصُوع الشعير،...)[18].

ثامنًا: الجمل الاعتراضية:

معلوم أن الجمل الاعتراضية في الكتابة الأدبية لها من الدلالات والإيحاءات الممتعة ما قد يُسهم في عملية الإيجاز المحمود ويضاعف في الوقت ذاته المعاني ويقيد إطلاقها ويزيدها بيانًا وجمالًا.. ولقد دأب المنفلوطي - بعد أن وعى جيدًا أهمية هذا الفن البلاغي - على إيراده بكثرة ومتى دعت الحاجة لذلك، ولقد أحسن في توظيفه لخدمة نصوصه ومقالاته. أما مقدمته فلم تخل من هذه الإشارات اللطيفة، ومنها قوله:

(... فإني لا أحبُّ لهم ولا لأحدٍ من الشـادِينَ في الأدب أن يكونوا مُقيَّدين في الكتابة بطريقتي، أو طريقة أحدٍ من الكُتَّاب غيري. وليعلموا - إن كانوا يعتقدون لي شيئًا من الفضل في هذا الأمر - أني ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل التي يعلمونها بهذا الأسلوب الذي يزعُمون أنهم يعرفون لي الفضل فيه، إلَّا لأني استطعت أن أتفلَّت من قيود التمثُّل والاحتذاء ...) [١٩].

وقوله:

(... فكنت لا أستطيع أن أُلِمَّ بكتابي إلا في الساعة التي آمن فيها على نفسي أن يُلمُّوا بأمري، - **وقليلًا ما كنت أجدها** - ، وكثيرًا ما كانوا يهجمون مني على ما لا يحبون، فإذا عثروا في حقيبتي، أو تحت وسادتي، أو بين لفائف ثوبي، على ديوان شعرٍ أو كتاب أدبٍ خُيِّل إليهم أنهم قد ظفروا بالدينار في حقيبة السارق، أو الزجاجة في جيب الغلام، أو العشيق في خدر الفتاة، فأجد من البلاء بهم، والغَصص بمكانهم، ما لا يحتمل مثلَه مثلي، وهم لا يعلمون - **أحسن الله إليهم** - أنهم وجميع من يدور به جدار مسجدهم حسنةٌ من حسنات الأدب الذين ينقمون منه ما ينقمون، ويدٌ من أياديه البيضاء على هذا المجتمع البشريّ.) [٢٠].

وقوله أيضا:

(... ولو أنَّ هؤلاء الزارين على الأدب من علماء الدين وشيوخه - **وهم اليوم والحمد لله قليلٌ، بل هم في طريق الفناء والانقراض** - قد تعلقوا منه بما كان يتعلق به أسلافهم وأئمتهم من قبل، لنالوا به في دينهم خيرًا كثيرًا، ولاسْتَدْفعوا به عن أنفسهم في أمره شرًّا عظيمًا ...) [٢١].

وقوله كذلك:

(فكان بي منذ ذلك العهد أنْ أنظر إلى المرأة بعينٍ غير التي ينظر بها الناس إليها، وأنْ ألتمس لها من العذر - وإن زلَّت بها قدمٌ - ما لا يلتمسه لها أحدٌ، وأنْ أنتصف لها من الرجل كلَّما وجدت السبيل إلى ذلك، حتى يُديل لها الله منه) [٢٢].

وقوله أخيرا:

(... فاستطعت - **وقد غمر الناس ما غمرهم من هذه المدنية الغربية** - أنْ أجلس ناحيةً منها وأنْ أنظر إليها من مرقبٍ عالٍ ...) [٢٣].

تاسعًا: الواقعية:

حاول المنفلوطي أن يبتعد عن الخيال عند كتابة هذه المقدمة التفصيلية، ليكون بذلك أقرب إلى الواقع المعاش، سواء في طبيعة اختياراته اللفظية وعباراته الأدبية وقواعده النقدية، أو في معانيه اليومية وأفكاره الشعبية ومضامينه القروية، تلك التي نأى فيها عن المثالية التي يستحيل نيلها والضفر بها وتحصيلها، فآثر السهل القريب على الصعب البعيد.

من ذلك قوله يشرح طبيعة اللغة الواقعية التي تبناها في كتابته:

(وكنت أرى أنَّ الأدب حالٌ قائمة بالنفس، تمنع صاحبها أن يُقْدِمَ على شر أو يحدِّث نفسه به، أو يكون عونًا لفاعليه عليه، فإن ساقته إليه شهوةٌ من شهوات النفس أو نزوة من نزواتها وجد في نفسه عند غشيانه ومخالطته من المضض والارتماض ما ينغص عليه عيشه، ويقلق مضجعه، ويطيل سهده وألمه، فإذا هو صورةٌ من صور الجوارح، وعَرَضٌ من أعراض الجسم لا دخل له في جوهر النفس، ولا علاقةَ بينه وبين الحس والوجدان.

فأكثر الناس عند الناس أدبًا، وأقومُهم خلقًا، وأطهرهم نفسًا، من لا يفي على شرط أنْ يعد، ومن يكذب على أنْ يكون كذبه سائغًا مهذبًا، ومن يملأ صدره موجدةً وحقدًا على أن يكون بسَّامًا ضحوك السن، ومن يسرق على أنْ يستطيع العبث بمواد القانون وخداع القضاة عنها، ومن يبغض الناس جميعًا بقلبه على أن يحبهم جميعًا بلسانه، ومن يحفظ تلك المصطلحات اللفظية، وتلك الصور الجافة من الحركات الجسمية التي تواضع عليها المتكلفون في الزيارة والاستزارة، والهناء، والعزاء، والمؤاكلة والمنادمة، وأمثال ذلك مما يرجع العلم به غالبًا إلى صغر النفس وإسفافها أكثر مما يرجع إلى علومها وكمالها، فداخلني من ذلك همٌّ عظيم لم أستطع أن

أملك نفسي معه، كأنما خُيِّلَ إليَّ - لقرب عهدي بما أرى - أنني أرى شيئًا عجيبًا، أو منظرًا غريبًا، أو كأنما كنت أحسب أنَّ عالم الخيال الذي كنت فيه إنما هو صورةٌ صحيحةٌ لعالم الحقيقة الذي أنتقل إليه، فأزعجني ما رأيت من هذا الاختلاف العظيم بينهما، فأرسلت الكلمة إثر الكلمة كما يتنفس المتنفس أو يئن الحزين، فرأى ذلك بعض الناس فسمَّوا ما رأوه كلامًا، ثم ما زالوا يستحسنون ما أقول ويغرونني بأمثاله، وما زلت أطمع فيهم وأرجو أن أصيب ما في نفوسهم حتى رأيتني كاتبًا)[٢٤].

المبحث الثاني: الآراء النقدية في المقدمة:

أولًا: هجر الفلسفة ونبذ التكلف:

معلوم أن المنفلوطي كان قد قفز إلى المربع الأدبي على فترة من الجمود الذي مرده التكلف واستحواذ المحسنات البديعية، وقد ظل جاثمًا عليه ردحًا من الزمن ليأتي المنفلوطي فيمثل انعطافة حقيقية فَجَأت الجماهير الأدبية في أسلوب غير معهود استطاع ان يتحلل صاحبه من قيود الزخرف اللفظي وعبودية الأسلوب المزوَّق، فكان ذلك إيذانًا بزوال دولة السجع كما قيل.

أما الفلسفة فهي بلا أدنى شك قرينة التعقيد ولصيقة التكلف والغموض؛ ولذلك كانت هي الأخرى على منأى من تفكير المنفلوطي ونصوصه الجديدة.

وهذا وغيره هو الذي أغرى قرَّاءَه بالانقضاض على مقالاته وقصصه التي راج سوقها آنذاك وإلى اليوم.

يقول المنفلوطي في هذا الصدد: (وما دخلت الفلسفة أيًّا كان نوعها على عَمَلٍ من أعمال الفطرة إلا أفسدته، وما خالط التكلُّف عملًا من أعمال الذوق إلا شوَّه وجهه، وذهب بحسنه وروائه!)[٢٥]

لذلك نجد المنفلوطي يقسِّم الأحاديث إلى ثلاثة: حديث اللسان وحديث العقل وحديث القلب، فلا يعبأ بشيء من حديث اللسان ولا حديث العقل كثيرًا؛ وإنما يسلط فكره ويسخر كلّه نحو حديث القلب الذي يستأثر به ليكون حِبَّه وأنيسه..

(... وأما حديث القلب فهو ذلك المنثور أو المنظوم الذي تسمعه، فتشعر أنَّ صاحبه قد جلس بجانبك ليتحدث إليك كما يتحدث الجليس إلى جليسه، أو ليصور لك ما لا تعرف من مشاهد الكون، أو سرائر القلوب، أو ليفضي إليك بغرضٍ من أغراضه نفسه، أو لينفس عنك كربةً من كرب نفسك، أو ليوافي رغبتك في الإفصاح عن معنًى من المعاني الدقيقة، التي تعتلج في صدرك ثم يتكاءدك الإفصاح عنها، من حيث لا يكون للصناعة اللفظية، ولا الفلسفة الذهنية دخلٌ في هذا أو ذاك، حتى ترى حجاب اللفظ قد رق بين يديك دون المعنى حتى يَفْنَى كما تَفْنَى الكأس الصافية دون ما تشتمل عليه من الخمر، فإذا الخمر قائمةٌ بغير إناءٍ، أو كما تَفْنَى صفحة المرآة الصقيلة بين يدي الناظر فيها، فلا يرى إلا صورته ماثلةً بين يديه، ولا لوح هناك ولا زجاج، وهو أرق الأحاديث الثلاثة وأشرفها، وهو الذي يريده المريدون مهما اختلفت عباراتهم، وتنوعت أساليبهم من تعريف كلمة البيان.)[٢٦]

بينما نراه حين تكلَّم عن حديث اللسان والعقل عبَّر عنهما بقوله:

(... فأما حديث اللسان فهو تلك العبارات المنمقة، والجمل المزخرفة، أو تلك الكلمات الجامدة الجافة التي لا يَعني صاحبَها منها سوى صورتها اللفظية، فإن كان لغويًّا تقعَّر وتشدَّق، وتكلَّف وأغرب، حتى يأتيك بشيءٍ خير ما يصفه به الواصف أنه متنٌ مشوشٌ من متون اللغة لا فصول له ولا أبواب، وإنْ كان بديعيًّا جنَّس ورصَّع وقابل ووشَّع وزاوج، وافتن في الإتيان بالكلمة مهمَلةً كلها أو معجمة كلها، أو راوح بين الإهمال والإعجام، فَيُخَيَّلُ إليك وأنت تراه ينطق بما ينطق به كأنما هو يصنعه بيديه صُنْعًا، أو يصقِّله تصفيقًا، ثم لا يبالي بعد ذلك باستقامة المعنى في ذاته ولا بمقدار ما له من الأثر في نفس السامع، وهذا الحديث هو أسقط الأحاديث الثلاثة وأدناها، وأجدرها أن ينظمه الناظم في سلك الصناعات اليدوية، التي لا دخل للعقل ولا للفهم في شيءٍ منها، وأنْ ينظم صاحبها في سلك جماعة الصيادلة الذين لا شأن لهم إلا تحليل المواد وتركيبها، وجمعها وتفريقها،

والمزاوجة بين مقاديرها، والموازنة بين أثقالها، من حيث لا يكون لقوة التصـور ولا لذكاء القلب دخلٌ في هذا أو ذاك.

وأما حديث العقل فهو تلك المعاني التي ينحتها الناحتون من أذهانهم نحتًا، ويقتطعونها منها اقتطاعًا، ويذهبون فيها مذهب المعاياة والتحدي والتعمق والإغراب، ويسـمونها تارةً تخييلًا، وأخرى غُلُوًّا، وأخرى حسـن تعليلٍ، إلى كثيرٍ من أمثال هذه الأسماء والألقاب التي تتفرّق ثم تتفرق ثم يجمعها شيءٌ واحدٌ هو الكذب والإحالة، وآية ما بينك وبينها أنك إذا رأيتها شـعرت بأنك ترى أمامك شـيئًا غريبًا عن نفسـك، وعن نفس صـاحبه، وعن نفوس الناس جميعًا، وأنَّ صاحبه لا يريد إلَّا أنْ يُطْرِفَكَ أو يضحكك أو يدهشك أو يُعجِّبَك من ذكائه وفطنته، واقتداره على تصوير ما لا يُتصوَّر، وإيجاد ما لا يكون، وهو أمرٌ لا علاقة له بجوهر الشعر، ولا حقيقة الكتابة، وربما انعكس عليه حتى غرضه هذا فنفرك وأكدك، وملأ قلبك غيظًا وقبحًا...).[٢٧]

ثانيًا: من هو أشعر الشعراء؟

يرى المنفلوطي أن أشـعر الشـعراء عنده هو مَن له من الصـفات ما يجعله جديرًا بحمل هذا اللقب الكبير، والذي تحدث عنه بدقّة وعناية عالِيتين؛ إذْ هو ذلك الشـاعر المتفرد الذي عناه بقوله: (وكان أشـعر الشعراء عندي وأكتب الكُتَّابِ - سواءٌ في ذلك المتقدِّمُ والمتأخِّرُ، والنابه والخامل - أوصفهم لحالات نفسه أو أثر مشاهد الكون فيها، وأقدرهم على تمثيل ذلك وتصويره للناس تصويرًا صحيحًا، كأنما هو يعرضه على أنظارهم عرضًا، أو يضعه في أيديهم وضعًا، فإن ظننتُ أنَّ القائل كاذبٌ فيما يقول، أو أنه يرسُم صورةً غير الصورة التي تتلجلج في نفسـه، أو أنه لغويٌّ يفرُّ من ضـعف أسـلوبه وفسـاد نظمه إلى أكمة من الألفاظ الغريبة، والتراكيب المُسْتَوْعِرَةِ يكمن وراءها، أو ناقلٌ يتخذ الكتابة حقيبةً يحشوها بالمسائل العلمية أو الوقائع التاريخية حشوًا، أو مترجمٌ ينقُل عن اللغة الأعجمية التي يعرفها آراء علمائها وخيالات شعرائها، وكأنما هو صاحبها، أو شعرت أنه قد مَرَّ بخاطره وهو ينطق بكلمته أن يكون بليغًا فيها أو مبدعًا ليُعَجِّبَ الناسَ منها، كان كلُّ حظه مِنِّي أن أعرف له قدرَه في العلم، ومنزلته من الذكاء والفهم إن أحسن فيما يقول، ولكنني لا أعده كاتبًا ولا شاعرًا؛ لذلك كان أغزل الغزل عندي غزل العاشقين، وأفضل الرثاء رثاء الثاكلين، وأشرف المدح مدح الشاكرين، وخير العظات عظات المخلصـين، وأجمل البكاء بكاء المنكوبين، وأحسـن الهجاء هجاء الصـادقين، وأبرع الوصـف وصـف الرائين المشاهدين.)[٢٨]

ثالثًا: الطبع والصنعة:

يعرب المنفلوطي عن إيثار الطبع وتفضيله على الصـنعة من خلال قوله: (ومتى صـدر القائل في قوله عن سجيةٍ وطبع أصبح شأنه شبيهًا بشأن العرب الأولين، وكان من شأنهم أنْ يسبقهم إلى كلامهم الخطأ اللفظي في بعض الأحيان، وكان السـبب في ذلك - كما يقول أبو عليٍّ الفارسـيُّ - أنهم كانت تهجم بهم طباعهم على ما ينقطون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد من حيث لا يشعرون. وكما أنَّ الجسم لا يغير صورتَه ولا يقلب سـحنتَه أن تطير منه ذرَّة وتحل أخرى محلها لِتُمثِّلَها، كذلك لا يغير صـورة الكلام ولا يذهب بنسـقه خروج أصيلٍ، أو دخول دخيلٍ، ولقد قيل لأحد الكُتَّاب الإنجليز: "نراك كثير الإعجاب بالكاتب "كبلنغ" وهو رجلٌ لحانة لا يحفل بقواعد اللغة!" فأجاب: "إنَّ سـطرًا واحدًا مما يكتبه "كبلنغ" أثمن عندي من قوانين اللغة جميعها، وليس من الرأي أنْ أحرم نفسي التمتع بأدبه إكرامًا لسواد عيون الغراماطيق الإنجليزي"!)[٢٩]

والمتأمل في كتابات المنفلوطي يدرك جيدًا أنها نابعة من طبع لا يؤمن بالتكلف والصـنعة، وعفوية لا تعترف بالاسـتعداد الذي يشـق على النفس، وأديب يكتب بقلبه قبل كفه، وجماع ذلك كله أنه يحمل رسـالة تفرض عليه النظر إلى إرضاء الخالق أولًا .. ولسان حاله قول الشاعر:

فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

وهنا يكمن السر في نزوعه إلى الطبع ونبذه الصنعة.

رابعًا: اللفظ والمعنى:

لا شـك أن المنفلوطي أديب وازن في كتاباته بين حجم الاهتمام بالمعنى فضـلا عن اللفظ مِثلًا بمثل؛ إذْ هو لا يفرّق بين ركن وآخر من هذين الركنين اللذين يقوم عليهما الأدب الرصـين؛ لذا وجدنا له مقالة بعنوان (**اللفظ والمعنى**) يَعجبُ فيها من أولئك الذين يفرّقون في أحكامهم بين الاثنين، على أنه يَعُدُّ الألفاظ خدمًا للمعاني؛ إذ المعاني ترد أولًا في الذهن وتجول في الخاطر ويستعد لها الكاتب ويتهيَّأ لبثها ونشرها، ثم تأتي الألفاظ التي تقوم بمهمة الإفصـاح والتعبير عن هذه المعاني والأفكار على وفق ما يناسـب المقام ويليق بذوي العقول والأفهام، في اختيارات دقيقة وتوزيعات واعية وثيقة، فلا إفراط ولا تفريط .. قيم شـعورية تكافئُ القيمَ التعبيرية بلا زيادة ولا نقصان.. والمقدمة التي الباحث بصدد الحديث عنها وسائر مقالات الكاتب المنفلوطي خير شاهد على هذا النظر الشامل والتوزيع العادل بين اللفظ والمعنى.

خامسًا: التجربة الشعرية:

وهذه القضـية حتما تقف في بوابة الصـرح الأدبي الذي يطمح إليه كل أديب عامة وصـاحبنا المنفلوطي على وجه الخصـوص؛ لأنه من سـمات الكاتب الناجح ومن لوازم الأدب الخالد؛ إذ به يتمايز الأقران ويسـمو الشـاعر والفنان، ولعل المنفلوطي فطن لتلك القضـية فأولاها عناية واهتمامًا، وأطنب في شـرحها والتأكيد عليها من خلال مشـاهداته اليومية ومعاينته للأحداث المجتمعية وما يلاحظه ويعيشـه ويشـعر به؛ لذا سـأحرص - من أجل أن تنجلي الصـورة وتتضح الغاية - على نقل النص الذي في المقدمة كاملًا من غير اختصـار ليرى القارئ كم كان المنفلوطي يركز على شرط توافر التجربة الشعرية في الكتابة الحرّة والأدب الناجح..

يقول رحمه الله: (وقدر لي فيما مَرَّ بي من أيام حياتي أن رأيت بعيني من وقفتْ بين يديه امرأةٌ ذليلةٌ تبكي وتضـرع إليه أن يرضخ لها بقليلٍ من المال لتسـتعين به على سـتر ما كشـف ابنه من سـوأة ابنتها، فأبى ذلك عليها، وقال لها وهو يحسـب أنه يعلم ما يقول: «أيتها المرأة لا حق لابنتك عندي ولا عند ولدي، فلم يكن حظه منها فيما كان من أمرهما بأكبر من حظها منه!» ورأيت من تزوج فتاةً كان يمسك في نفسه لأهلها حقدًا قديمًا، فما دنا منها ليلة البناء بها حتى صدف عنها صارخًا: «أيها الناس: إنَّ الفتاة مريبةٌ.» وكان كاذبًا فيما يقول، ولكن صدقه الناس، فانتقم لنفسه بذلك شر انتقام وأقذعه.

ورأيت من دخلت إليه امرأةٌ من أولئك النسـاء المريبات تسـأله بعض المعونة على أمرها، فأمر بطردها ذَهابًا بنفسه أنْ تسوء بمكانها، وكان هو الذي أفسدها على نفسها، فنزل بها فسادُها إلى هذه المنزلة من السقوط ثم الفقر، فلما جد الجد حاسـبها على لقمةٍ تتذوقها في بيته، ولم يحاسـب نفسـه على عِرضٍ كان يأكله في بيتها أكلًا، فكان بي منذ ذلك العهد أنْ أنظر إلى المرأة بعينٍ غير التي ينظر بها الناس إليها، وأنْ ألتمس لها من العذر - وإن زلَّت بها قدمٌ - ما لا يلتمسه لها أحدٌ، وأنْ أنتصف لها من الرجل كلَّما وجدت السبيل إلى ذلك، حتى يُديل لها الله منه.

وكنت من شـئون عيشي في حالةٍ لا أسـتطيع معها أنْ أعتزل الناس الاعتزال كله، ولا أنْ أختار لعشـرتي من أشـاء من خيارهم وذوي المروءة فيهم، فلبستهم على عِلَّاتهم، فما حفظ لي صديقٌ عهدًا، ولا صان لي صاحبٌ سـرًّا، ولا اسـتدنت مرةً فنفَّس عني دائنٌ، ولا دنت فوفى لي مدينٌ، ولا رد لي مسـتعيرٌ عاريةً، ولا شـكر لي شـاكرٌ صنيعةً، ولا فرَّج لي كربتي مفرجٌ إلا إذا استقطر ماء وجهي إلى القطرة الأخيرة منه؛ ليأخذ أكثر مما أعطى، ويسلب فوق ما وهب.

ووجدت في طريق حياتي من خالطني مخالطة الزائر للمزور، حتى أمكنته الفرصـة فسـرق مالي بعدما تحرَّم بطعامي وشـرابي، ومن كان يتردد وجهه في وجهي فأكره أنْ أرده بالأمل الخائب، فلمَّا عجزت عن ذلك مرة أضـمر لي في قلبه من الشـر ما لا يضـمر مثله الرجلُ إلا لمن يغلبه على تراث أبيه وأمه، أو يخضِّب لحيته من دم مَفرِقه، ومن نصـب لي وغَرِيَ بمحادَّتي ومماظَّتي؛ لأنه كان يحمل في رأسـه فتكةً لم يجد في طريقه من يحملها عنه ويستخذي له فيها سواي.

ومن أخذ نفسه بالنيل مني والغض من شأني؛ لأنه كان يشكو الخمول والضعة، وكان لا بد له من أن يكون نابهًا مذكورًا، فاتفق له أنْ رأى عاتقي بين يديه فظن أنه أعلى العواتق وأبعدها مذهبًا في جو السماء، فعلاه ليشرف منه على الناس فيعرفوا مكانه، فوالله ما تحلحلت ولا نبوت بقيًا عليه وضنًّا به أن يسقط سقطةً لا يئل منها. ومن كان لا يكبر شأني إلا إذا اتَّقاني، فإذا أضاء ما بيني وبينه كنت في عينه أصغر منه في عين نفسه، ومن كان يقبل ويدبر بإقبال الدهر عليَّ وإدباره عني، ثم لا يستحيي من ذلك حتى أستحيي له منه، فعركت بجنبي أكثر ما كرهت من ذلك، ولكنني لم أرضَ لنفسي أن أنزل في الغرارة والغفلة دون المنزلة التي ينخدع فيها الغر الكريم، فأصبح رأيي في الناس غيرَ رأيهم في أنفسهم ورأي بعضهم في بعض، وخفت أن يصيب كثيرًا من الضعفاء والمحدودين أمثالي مثل ما أصابني، فكان من همي أنْ أنبش دفائنهم، خيرًا كانت أو شرًّا، وأنْ أكشف أثوابهم عن أجسامهم، وأجسامهم عن نفوسهم، حتى يتراءوا ويتكاشفوا فيتواقوا ويتحاجزوا، فلا يهنأ خادع بخدعته، ولا يبكي مخدوعٌ على نكبته، ولا يتخذ بعضُهم حمرًا يركبونها إلى أغراضهم ومطامعهم.

وكان منشئي في قومٍ بداةٍ سذج، لا يبتغون بدينهم دينًا، ولا بوطنهم وطنًا، ثم ترامى بي الأمر بعد ذلك وتصرَّفت بي في العيش شئونٌ جمةٌ، فخضعت لكثيرٍ من أحكام الدهر وأقضيته، إلا أن أكون ملحدًا في ديني، أو زاريًا على وطني، فاستطعت - وقد غمر الناس ما غمرهم من هذه المدنية الغربية - أنْ أجلس ناحيةً منها وأنْ أنظر إليها من مرقبٍ عالٍ، وكنت أعلم أنَّ من أعجز العجز أنْ ينظر الرجل إلى الأمر نظرةً طائرةً حمقاء، فإمَّا أخذه كله وإما تركه كله، فرأيت حسناتِها وسيئاتِها، وفضائلَها ورذائلَها، وعرفت ما يجب أن يأخذ منها الآخذ وما يترك التارك، فكان من همِّي أنْ أحمل الناس من أمرها على ما أحمل عليه نفسي، وأنْ أنقم من هؤلاء العجزة الضعفاء تهالكهم لها، واستهتارهم بها، وسقوط نفوسهم أمام رذائلها ومخازيها، وإلحادها وزندقتها، وشحها وقسوتها، وشرهها وحرصها، وتبذلها وتهتكها، حتى أصبح الرجل الذي لا بأس بعلمه وفهمه إذا حزبه الأمر في مناظرةٍ بينه وبين من يأخذه برذيلةٍ من الرذائل، لا يجد بين يديه ما ينضح به عن نفسه إلا أنْ يعتمد عليها في الاحتجاج على فعل ما فعل، أو ترك ما ترك، كأنما هي القانون الإلهي الذي تثوب إليه العقول عند اختلاف الأنظار، واضطراب الأفهام، أو القانون المنطقي الذي توزن به التصديقات والتصورات لمعرفة صوابها وخطئها وصحيحها وفاسدها، وحتى أصبح السيد في منزله يستحي من خادمة مطبخه الأوروبية أنْ تطَّلع منه على جهلٍ ببعض عاداتها وعادات قومها - حتى في لُبس الرداء وخلع الحذاء - أكثر مما يستحي من الله ومن الناس أنْ يهجموا منه على أرذل الرذائل وأكبر الكبائر، وحتى أصبح تاريخ المشرق وتاريخ علمائه وأدبائه وفلاسفته وشعرائه صورةٌ من أقبح الصور وأسمجها في نظر كثيرٍ من الشرقيين الذين أصبحوا يفخرون بجهل تاريخهم إن جهلوه، ويراءون بجهله إنْ علموه، وحتى قدر ذلك الغلام الرومي خادم الحان أو القهوة منفردًا على ما لم تقدر عليه الأمة جميعها مجتمعة، فحملها على النزول إليه لتحدثه بلغته، قبل أن تحمله على الصعود إليها ليحدثها بلغتها، وهو إلى أن يترضاها ويستدنيها أحوج منها إلى أن تزدلف إليه وتنزل على حكمه..)[٣٠]

ثم يختم هذه المشاهد المنوعة بالقول:

(فذلك ما تراه في رسائل النظرات منتثرًا هاهنا وها هنا، قد شعر به قلبي ففاض به قلمي من حيث لا أكذب الناس عن نفسي، ولا أكذب نفسي عنها، ولو كان بي أن أكذبهم لكذبتهم فيما يرضيهم، وما أعلم أني أتخطاهم به وأنال به الأثرة الخالدة في نفوسهم، ولو أردت ذلك منهم لما كان بيني وبين خاصتهم - إن أردت الخاصة - إلا ثلاث كلمات: السخرية بالأديان، واحتقار تاريخ المشرق، والقول بتبرج المرأة وسفورها، ولا كان بيني وبين عامتهم - إنْ أردت العامة - إلا ثلاثٌ أخرى: سب الكفار، وعبادة الأضرحة، والجمود على كل قديم.)[٣١]

سادسًا: من هو الكاتب الحقيقي؟

يحاول المنفلوطي أن يجلِّيَ صورةَ الكاتب الحقيقي من خلال حديثه عن الكاتب الدعيّ الذي لا يليق أن ينعت بهذه الصفة، وعلى قاعدة (**وبضدِّها تتميز الأشياءُ**) يقول المنفلوطي: (وعندي أنَّ الكاتب المسخر الذي لا شأن له إلا أن يكتب ما يُفضي به الناس إليه، صانعٌ غير كاتب، ومترجمٌ غير قائل، ولا فرق بينه وبين صائغ الذهب وثاقب اللؤلؤ، كلاهما ينظم ما لا يملك، ويتصرف فيما لا شأن له فيه...)[٣٢]

إذن هو أجير وليس كاتبًا بحسب المنفلوطي، بدليل قوله: (**المسخَّر**) وهذا ما يجعله خارج نطاق الكُتَّاب الذين يُراد لفنهم البقاء والخلود.

ثم يشرع بعدها بذكر من هو خليق بهذه المكانة المرموقة حين يقول: (... على أنَّ خير ما ينتفع به الأديب من أدبه أن يترك يوم وداعه لهذه الدنيا صفحةً يقرأ فيها الناظرون في تاريخه من بعده من أبنائه وشيعته وذوي رحمه صورةَ نفسه، ومضطربَ آماله، ومسرحَ أحلامه، فإذا كان كل شأنه في حياته أن يكون مرآةً تتقلَّب فيها مختلفات الصور، أو وفيعةً تتمسح بها أعواد الأقلام، كان خسرانه عظيمًا، لا يقوم به كلُّ ما يربح الرابحون من مالٍ أو يؤثِّلون من جاهٍ، والتاريخ أضن من أنْ يحفظ بين دفتيه من مجد الأدباء إلا مجد أولئك الذين يودعون نفوسهم صفحاتِ كتبهم، ثم يموتون وقد تركوها نقيةً بيضاء من بعدهم، وحياة الكاتب بحياة كتابته في نفوس قرَّائها، ولا تحيا كتابة كاتبٍ سيعلم الناس من أمره — بعد قليل — أنه يكذبهم عن نفسه وعن أنفسهم، وأنه رواغٌ متخلجٌ يأمرهم اليوم بما ينهاهم عنه غدًا، ويرى في ساعةٍ ما لا يرى في أخرى، وأنه يستبكي ولا يبكي، ويسترحم ولا يرحم، ويحرك النفوس وهو ساكنٌ، ويثير الثائرة وهو سالمٌ؛ فيستريبون به، ويحارون في مصادره وموارده، ثم يحملون أمره على شر حاليه، ثم ينقطع ما بينهم وبينه.)[٣٣]

سابعًا: الصدق الفني:

ويتجلى ذلك العنصر واضحًا في قوله: (...فإني لا أحسن حتى اليوم أن أكتب كلمة يُفْضِي بها إليَّ غيري، أو أعبر عن معنًى لا يقوم بنفسي، أو أبكي على من لا يحزنني فراقه، أو أندُب من لا يَفجعني موته، أو أستنكر ما أستحسن، أو أستحسن ما أستنكر. كما لا أستطيع أنْ أمرَّ بمشهدٍ من تلك المشاهد التي تُهيج في نفسي حزنًا شديدًا أو طربًا كثيرًا، فأملك نفسي عن محاولة الإفضاء بما تركه عندي من خيرٍ أو شرٍّ، وما أعلم أني كتبت كلمةً في شأن من الشئون إلا وكان بعض تلك المشاهد منشؤها في قلبي، فقد كنت رجلًا لا أحب الكذب ولا أحمل نفسي عليه ما وجدت منه بُدًّا، فأبغضت الكاذبين بُغْض الأرض للدم، فكان من همِّي أن أقاتلهم على الصدق قتالًا مستحرًّا حتى أصل بهم إلى إحدى الحسنيين: إما أن يكونوا صادقين، وإما أن يعلم الناس أنهم كاذبون.)[٣٤]

ثامنًا: رأيه في البيان:

يعرف المنفلوطي البيان على طريقته التصويرية التي عُرف بها، وهي أقرب الى التجسيد الواقعي الذي يكون قريبًا من فهوم الجماهير عندما يقول: (والبيان ليس سلعة من السلع التي يتنقل بها تجارها من سوقٍ إلى سوق، ومن حانوتٍ إلى آخر، ولكنه حركةٌ طبيعيةٌ من حركات النفس تصدر عنها عفوًا بلا تكلفٍ ولا تعملٍ صدورَ النور عن الشمس، والصدى عن الصوت، والأريج عن الزهر، وشعاعٌ لامعٌ يشرق في نفس الأديب إشراق المصباح في زجاجته، وينبوعٌ ثرارٌ يتفجر في صدره ثم يفيض على أسلات قلمه، وهو أمرٌ وراء العلم واللغة، والمحفوظات والمقروءات، والقواعد والحدود، ولو أنَّ أمرًا من ذلك كائنٌ لكان أبرع الكُتَّابِ وأشعر الشعراء، أغزرهم مادة في العلم، أو أعلمهم بقواعد اللغة، أو أجمعهم لمتونها، أو أحفظهم لفصيح القول ورائعه، أما العلم فأكثر المؤلفين الذين تركوا بين أيدينا هذه الأسفار التي نقرؤها في الشريعة والحكمة والمنطق وغيرها كانوا علماء، ما يتدافع في ذلك اثنان، وها قد مرَّتْ علينا وعلى ما تركوه بين أيدينا القرون والحقب، وأكثرنا عاجزٌ عن فهم أكثر ما كانوا يكتبون. وأما المحفوظات فما نعلم أحدًا أحفظ لكتاب الله من جماعة القراء، ولا أحفظ للحديث من الفقهاء، ولا أقل منهم إلمامًا بالأدب، ولا أبعد منهم عنه مكانًا. وأما اللغة فما عرفنا بين المتقدمين والمتأخرين من رواتها وحُفَّاظها، والمتوفرين على تدوينها وتحقيقها، والمنقطعين لدرس قواعدها وفنونها، من عرفت له البراعة والتفوق في تحبير الرسائل، أو قرض الشعر، أو القوة القلميَّةُ في التصنيف في غير ما أخذوا أنفسهم به، وكان الخليل بن أحمد إذا سئل عن نظم الشعر قال: "يأباني جَيِّدُهُ وَآبَى رديئَهُ." وكان الأصمعي يحفظ ثلث اللغة، وأبو زيد الأنصاريُّ يحفظ نصفها، وأبو مالك الأعرابيُّ يحفظها كلها، وكذلك كان شأن النضر بن شميل، وأبي عبيدة، وابن دريدٍ، والأزهريِّ، والصاغاني، وابن فارس، وابن الأثير صاحب «النهاية» والجوهري، والفيروز آبادي، وأمثالهم من علماء اللغة والنحو، وما سمعنا لواحدٍ منهم في إحدى الصناعتين شيئًا مذكورًا، وقال أبو العبّاس المبرِّد في بعض أحاديثه: "لا أحتاج إلى وصف نفسي، لعلم الناس بي أنه ليس أحدٌ من الخافقين تختلج في نفسه

مشـكلةٌ إلا لقيني بها، وأعدَّني لها، فأنا عالمٌ ومتعلم وحافظٌ ودارس، لا يخفى عليَّ مشـتبهٌ من الشـعر والنحو والكلام المنثور والخطب والرسـائل، وربما احتجت إلى اعتذارٍ من فلتةٍ أو التماس حاجةٍ، فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عينيَّ، ثم لا أجد سبيلًا إلى التعبير عنه بيدٍ ولا لسانٍ، ولقد بلغني أنَّ عبيد الله بنَ سليمان ذكرني بجميلٍ، فحاولت أنْ أكتب إليه رقعةً أشكره فيها وأعرض ببعض أموري، فاتبعت نفسي يومًا في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها، وكنت أحاول الإفصاح عمَّا في نفسي فينصرف لساني إلى غيره." ا.هـ. ....)[٣٥]

وفي سـياق آخر من مقدمة المنفلوطي يعقد صـاحبها مقارنة يفرق فيها بين الشـاعر وبين العروضـي؛ فالأول هو المعني بالمدح والإطراء وهو الأولى بهذا اللقب، بينما الآخر أعني العروضـي لا يزيد على كونه عارفًا بالتقطيع العروضـي والوزن الشـعري فقط، أما الشـعر فهو أبعد ما يكون عنه؛ لذلك فهو يَعُدُّ الأول ألصـق بالبيان، أما الثاني فليس سوى آلة تكاد تخلو من روح الأدب الذي يبحث عنه القارئ والمستمع، وهو الذي حُرِمَهُ علماءُ اللغة الأقحاح حين بالغوا في اسـتقراء العلوم اللغوية الأصـلية واشـتغلوا بها واسـتهتروا بها وشـغفوا في تدوينها، كالأزهري والصاغاني وابن فارس وابن الأثير صاحب النهاية والجوهري والفيروز آبادي وأمثالهم من علماء اللغة والنحو، وبعض الشـعراء والأدباء الذي أفسـدوا على أنفسـهم بعض أدبهم وشـعرهم لمّا أوغلوا في مثل هذه وفعلوا ما ذكرنا من أمر التعلق الشـديد باللغة وأحكامها وغرائبها، كالمتنبي أحيانا وأبي العلاء في لزومياته وكذا الحريري في مقاماته؛ لذا وكما يخبر المنفلوطي: فسـدت قرائحهم عندما تعلقوا بالبحث في دقائق اللغة وبالغوا في ذلك، ففات عليهم كثير من البيان الذي لو قلتَ لأحدهم أن يكتب في إحدى الصناعتين شيئا يستحق الإشادة لما استطاع فعل ذلك.[٣٦]

تاسعًا: الاطلاع والموسوعية:

بالرغم من أن المنفلوطي وقياسًـا على ما عند أدباء عصره من ثقافة وعلم يعد - بحسـب الكاتب الزيّات - ذا ثقافة محدودة وأفق ضـيّق[٣٧] ؛ لكنَّ هذا الوصـف لم يمنعْه من الدعوة إلى التزوّد من القراءة وحبِّ الاطلاع الذي يعين الكاتب على التفوق الكتابي والنبوغ الأدبي والتأثير الشعري والقبول الجماهيري..؛ إذ الثقافة الواسعة والعلم بأصـول اللغة والأدب هما رأس مال الأديب - إن جاز التعبير - وهذا ما أدركه المنفلوطي عن طريق تجربته الحياتية وحِكمته وحُنكته؛ لذلك دعا إلى مثل هذا الأمر في مقدمته التي جمعت في مجملها بين اللغة الأدبية والقواعد النقدية - كما مرَّ - وبرهنت على سـعة الاطلاع وحجم الثقافة التي يتمتع بها كاتبنا المنفلوطي.. ومقالاته في النظرات وقصـصـه في العبرات، فضـلا عن مقدمته وما فيها من معلومات وتأملات؛ خير شـاهد ودليل على ما يمتلكه من حسن ثقافة وسعة اطلاع واضحيْن.

عاشرًا: العفوية والتجرد:

وهذه السـمة هي **العلامة المسـجلة** - إن صح التعبير - للكاتب المنفلوطي والسـر الأكبر في ذيوع صـيته وبقاء أثره وانجذاب الناس نحوه وجعله إمامًا من أئمة الأدب الحديث؛ إذ بها نال القبول واسـتولى بعدُ على العقول..

ولعلي أنقل ما كتبه هو في آخر مقدمته في نقاط أربعة لخص فيها ما اصطلحت عليه من صفة العفوية والتجرد في طبيعة أدبه وهي باختصار[٣٨]:

أولها: أني ما كنت أحتفل من بين تلك الأحاديث الثلاثة بحديث اللسان ولا حديث العقل؛ أي أنني ما كنت أتكلف لفظًا غير اللفظ الذي يقتاده المعنى ويتطلبه، ولا أفتش عن معنًى غيرِ المعنى الطبيعيّ القائم في نفسـي، بل كنت أحدث الناس بقلمي كما أحدثهم بلسـاني، فإذا جلسـت إلى مكتبتي خُيِّلَ إليَّ أنَّ بين يدي رجلًا من عامة الناس مقبلًا علي بوجهه، وأنَّ من أشهى الأشياء وآثرها في نفسي ألا أترك صغيرًا ولا كبيرًا مما يجول بخاطري حتى أفضي به إليه، فلا أزال أتلمس الحيلة إلى ذلك، ولا أزال أتأتَّى إليه بجميع الوسـائل وألحُّ في ذلك إلحاح المشـفق المجد حتى أظن أني قد بلغت من ذلك ما أريد، فلا أقيد نفسـي بوضـع مقدمة الموضـوع في أوله، ولا سـرد البراهين على الصـورة المنطقية المعروفة، ولا التزام اسـتعمال الكلمات الفنية التزامًا مطَّردًا إبقاءً على نشـاطه وإجمامه، وإشفاقًا عليه أنْ يملَّ ويسأم فينصرف عن سماع الحديث أو يسمعه فلا ينتفع به.

وثانيها: أني ما كنت أحمل نفسي على الكتابة حملًا، ولا أجلس إلى مكتبي مطرقًا مفكرًا ماذا أكتب اليوم، وأيُّ الموضوعات أعجب وألذ وأشوق، وأيها أعلق بالنفوس وألصق بالقلوب، بل كنت أرى فأفكِّر فأكتب، فأنشر ما أكتب فأرضي الناسَ مرةً وأسخطهم أخرى من حيث لا أتعمد سخطهم، ولا أتطلب رضاهم.

ثالثها: أني ما كنت أكتب حقيقةً غير مشوبةٍ بخيالٍ، ولا خيالًا غير مرتكزٍ على حقيقة؛ لأني كنت أعلم أنَّ الحقيقة المجردة من الخيال لا تأخذ من نفس السامع مأخذًا، ولا تترك في قلبه أثرًا، وأحسَبُ أنَّ السبب في ذلك أنَّ أكثر ما تشتمل عليه النفوس من العقائد والمذاهب، والآراء والأخلاق، والخواطر والتصوُّرات، إنما هو أثرٌ من آثار الخيالات الذهنية التي تتراءى في سماء الفكر، ثم لا تزال بها الأيام تكسوها طبقةً بعد طبقةٍ من غبار القدم حتى تصبح حقيقةً من الحقائق الثابتة في الأذهان. وكما أنَّ الحديد لا يَفلُّ إلا الحديدَ، واللون لا يذهب به إلا لونٌ غيره، فكذلك الخيال، لا يذهب به ولا يزعجه من مكانه إلا الخيال. وللخيال الأثر الأعظم في تكوين هذا المجتمع الإنساني وتكييفه بالصورة التي يريدها، فلولا خيال الشعر ما هاج الوجد في قلب العاشق، ولولا خيال الشرف ما هلك الجندي في ساحة الحرب، ولولا خيال الذكرى ما اخترعت المخترعات ولا ابتدعت المبتدعات، ولولا خيال الرحمة ما عطف غنيٌّ على فقير، ولا حنا كبيرٌ على صغير. كما كنت أعلم أنَّ الخيال غير المرتكز على الحقيقة إنما هو هَبْوَةٌ طائرةٌ من هبَوات الجو، لا تهبط أرضًا ولا تصعد إلى سماء.

رابعها: أني كنت أكتب للناس لا لأعجبهم، بل لأنفعهم، ولا لأسمع منهم: «أنت أحسنت.» بل لأجد في نفوسهم أثرًا مما كتبت. والناس — كما قلت في بعض رسائلي — خاصةٌ وعامة؛ أما خاصتهم: فلا شأن لي معهم، ولا علاقة لي بهم، ولا دخل لكلمةٍ من كلماتي في شأنٍ من شئونهم، فلا أفرح برضاهم ولا أجزع لسخطهم؛ لأني لم أكتب لهم، ولم أتحدث معهم، ولو أشهدهم أمري، ولم أحضرهم عملي، بل أنا أتجنب جهد المستطاع أن أستمع منهم شيئًا مما يتعلق بي من خيرٍ أو شرٍّ؛ لأني راضٍ عن فطرتي وسجيتي في اللغة التي أكتب بها، فلا أحب أن يكدِّرها عليَّ مُكَدِّرٌ، وعن آرائي ومذاهبي التي أودعها رسائلي، فلا أحب أن يشككني فيها مشكِّكٌ، ولم يهبني الله من قوة الفراسة ما أستطيع به أنْ أميز بين مخلصهم ومشوبهم، فأصغي إلى الأوَّل لأستفيدَ علمه، وأعرض عن الثاني لأتقي غشَّه، فأنا أسير بينهم مسير رجلٍ بدأ يقطع مرحلةً لا بد له أن يفرغ منها في ساعةٍ معينة، ثم علم أنَّ على يمين الطريق التي يسلُكُها روضةً تعتنق أغصانها، وتشتجر أفنانها، وأنَّ على يساره غابًا تزأر أُسودُه، وتعوي ذئابه، وتفح أفاعيه وصِلاله، فمضى قدمًا لا يلتفت يمنةً مخافة أنْ يلهو عن غايته بشهوات سمعه وبصره، ولا يسرةً مخافة أنْ يهيج بنظراته فضول تلك السباع المقعية والصلال الناشرة، فتعترض دون طريقه، وأما عامتهم فهم بين ذكيٍّ قد وهبه الله من سلامة الفطرة وصفاء القلب ولين الوجدان ما يعده لاستماع القول واتباع أحسنه، فأنا أحمد الله في أمره، وضعيفٍ قد حيل بينه وبين نفسه، فهو لا يرضى إلا عما يعجبه، ولا يسمع إلا ما يطربه، فأكل أمره إلى الله، وأستلهمه صواب الرأي فيه، حتى يجعل الله له من بعد عسرٍ يسرًا.

الخاتمة:

الحمد لله وبعد: فها هو البحث قد ارتوى من ظمأ، حين وصلتُ به إلى مبتغًى أحسبه مقبولًا، وقد خرجت منه بالآتي:

١- المقدمات التي تستفتح بها المؤلفات لا شكَّ جديرة بوضعها إلى جانب الفنون الأدبية النثرية؛ لما تمتاز به من أساليب أدبية تضمن لها الوصول إلى مصافي الآداب والفنون الشهيرة.

٢- الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي، صاحب **العبرات والنظرات**، كاتبٌ عُرف بنزعته العاطفية في التأليف والكتابة، وبعفويته الواضحة وصدقه الفني ومحاكاته للجماهير وملامسته شعورهم وما يعانون، وبأنه إمام في مذهبه الكتابي الذي نعته بعضهم بالأسلوب الإنشائي، وأنه كاتب وزع عنايته على اللفظ والمعنى بالتساوي، كما أنه رائد من رواد ما تسمَّى بمدرسة **الأدب الحزين**، وقد وصفه الزيات بقوله: المنفلوطي في النثر كالبارودي في الشعر، كلاهما أحْيا وجدَّد..

٣- استطاع المنفلوطي أن يجسد حالة الكاتب الذي يصدق فيه ما ذكر من أمر التقديم البياني الأمثل، حين جمع بين التنظير والتطبيق في آنٍ واحدٍ، من خلال مقدمته التي قدم فيها لكتابه النظرات، وبما لا يخلو من إشارات نقدية لا غنى لطالب أدب عن المرور عليها والأخذ بها.

٤- حفلت مقدمة المنفلوطي بالعديد من الأساليب الأدبية التي أوردها الكاتب، وهي التي تضارع بطبيعة الحال ما عليه مقالاته في كتابه المذكور إجمالًا. ومن تلك الأساليب التي رصدتها في المقدمة:

براعة الاستهلال ، طغيان الجانب العاطفي ، الاتكاء على الإيقاع الداخلي المتولد من السجع والجناس والتقسيم الصوتي والطباق ، الافتتان بالجمال ومفرداته ، المزج بين الشعر والنثر ، الغوص في أعماق الأشياء ومحاولة انتشال جوهرها واستجلاء مكنونها والبحث في سرها ، حشد الألفاظ والاستعراض المفرط في ذلك ، الاستفادة من الجمل الاعتراضية ومحاولة توظيفها في توصيل المعنى وتوليد معان إضافية قد تنتج من اعتراض ساخر، الاقتراب من الجماهير (الواقعية).

٥- كما حفلت المقدمة أيضًا بفيض من القضايا والآراء النقدية التي استمد المنفلوطي بعضها من كتب القدماء، واكتسب البعض الآخر من وحي عقله وتجاربه وفهمه.. ولعل من أبرز ما استنبطْتُه أنا من هذه المقدمة فيما يخص النقد: **(الابتعاد عن الفلسفة وهجر التكلّف ، من هو أشعر الشعراء؟ ، تقديم الطبع على الصنعة ، التجربة الشعرية ، مراعاة اللفظ كما المعنى؛ مع كون اللفظ خادمًا للمعنى ، من هو الكاتب الحقيقي ، الصدق الواقعي ، رأيه في البيان ، الاطلاع والموسوعية، والحفظ الواجب والإحاطة بعلوم الآلة ، العفوية والتجرد).**

الهوامش:

(١) صحيح الإمام مسلم / كتاب الصلاة / باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة / رقم ٣٩٥.
(٢) ميراث الصمت والملكوت / عبد الله الهدلق / ٤٦.
(٣) كلمات نافعة/ ناجي الطنطاوي/ ١٨٧.
(٤) قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة/ حسان شمسي باشا/ ٢١٣.
(٥) أبو بكر الصديق/ علي الطنطاوي/ ٢٤٠.
(٦) ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي / الشيخ الصفار نموذجًا/ ١٤.
(٧) فنُّ التقريظ في الأدب العربي _ دراسةٌ في كتاب المحبّي "خلاصة الأثر" / د. هشَام علي فتح الله أبو خشَبة/ مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية ، قسمُ اللغةِ العربية وآدابها - كليةُ الآداب – جامعةُ الإسكندرية البريدُ الإكتروني Hesham.ali@alexu.edu.eg : ، العدد ٢٦ / ٢٠٢٢ م / ٩١٤.
(٨) ٣٧ ، ٣٨ .
(٩) راجع: وحي الرسالة جـ١ ص٣٨٦. نقلا عن كتاب: المقال وتطوره في الأدب المعاصر/ السيد مرسي أبو ذكري/ ١٩٠ / دار المعارف/ ط ١٩٨١-١٩٨٢.
(١٠) المقال وتطوره في الأدب المعاصر/ السيد مرسي أبو ذكري/ ١٩١.
(١١) المقدمة ١٣.
(١٢) المقدمة ١٣.
(١٣) المقدمة ١٤ – ١٥.
(14) المقدمة ١٧.
(15) المقدمة ٢٣.
(16) المقدمة ١٤.
(17) المقدمة ١٤ – ١٥.
(١٨) المقدمة ١٤.
(١٩) المقدمة ١٣.
(٢٠) المقدمة ١٦.
(٢١) المقدمة ١٧.
(٢٢) المقدمة ٢٥.
(٢٣) المقدمة ٢٦.
(٢٤) المقدمة ٢٣ – ٢٤.
(٢٥) المقدمة ٣١.
(٢٦) المقدمة ٣٤.
(٢٧) المقدمة ٣١-٣٢.
(٢٨) المقدمة ١٩.
(٢٩) المقدمة ٢٩.
(٣٠) المقدمة من ٢٤ – ٢٦.
(٣١) المقدمة ٢٧.
(٣٢) المقدمة ٢٧.
(٣٣) المقدمة ٢٧.
(٣٤) المقدمة ٢٤.
(٣٥) المقدمة ٢٧ – ٢٨.
(٣٦) ينظر المقدمة/ ٢٨ - ٣٠
(٣٧) ينظر: وحي الرسالة / أحمد حسن الزيات ج١ / ٢٧٦.
(٣٨) المقدمة ٣٤ – ٣٦.

المصادر والمراجع:

أبو بكر الصديق , علي الطنطاوي , ط٣ , ١٩٨٦ , دار المنارة للنشر والتوزيع , جدة.

ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي , الشيخ الصفار نموذجًا.

فنُّ التقريظ في الأدب العربي _ دراسةٌ في كتاب المحبّي "خلاصة الأثر" , د.هشَام علي فتح الله أبو خشَبة, مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية ، قسمُ اللغةِ العربية وآدابها - كليةُ الآداب – جامعةُ الإسكندرية البريدُ الإلكتروني Hesham.ali@alexu.edu.eg : ، العدد ٢٦ / ٢٠٢٢ م.

قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة, تأليف حسان شمسي باشا.

جدة : مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤١٢ = ١٩٩١ الطبعات:ط١.

كلمات نافعة , ناجي الطنطاوي, ط١, ١٩٨٨, دار المنارة للنشر والتوزيع, جدة.

المسند الصحيح المختصر, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المقال وتطوره في الأدب المعاصر, السيد مرسي أبو ذكري, دار المعارف, ط١, ١٩٨١-١٩٨٢.

ميراث الصمت والملكوت,عبد الله بن عبد العزيز الهدلق, الرياض, ط١, ٢٠١٠.

النظرات , مصطفى لطفي المنفلوطي , مؤسسة هنداوي , ٢٠١٥.

وحي الرسالة- فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع- , أحمد حسن الزيات, ط١, ٢٠١٨ , دار الأدب العربي للنشر والتوزيع والترجمة- مصر.

Resources and References:

Abu Bakr al-Siddiq, Ali al-Tantawi, 3rd ed., 1986, Dar al-Manara for Publishing and Distribution, Jeddah.

The Phenomenon of Praise and Introduction in Arabic Literature, Sheikh al-Saffar as a Model.

The Art of Praise in Arabic Literature - A Study of al-Muhibbi's Book "Khulasat al-Athar", Dr. Hisham Ali Fathallah Abu Khashab, Journal of Humanities and Literary Studies, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Alexandria University. Email: Hesham.ali@alexu.edu.eg, Issue 26/2022.

Glimpses of Prophetic Medicine and Modern Scientific Evidence, by Hassan Shamsi Pasha.

Jeddah: Al-Sawadi Library for Distribution, 1412 AH = 1991. Editions: 1st ed.

Useful Words, Naji Al-Tantawi, 1st ed., 1988, Dar Al-Manara for Publishing and Distribution, Jeddah.

The Concise Authentic Musnad, Muslim ibn Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (d. 261 AH), edited by Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut.

The Article and Its Development in Contemporary Literature, Sayyid Mursi Abu Dhakri, Dar Al-Maaref, 1st ed., 1981-1982.

The Legacy of Silence and the Kingdom, Abdullah ibn Abdul-Aziz Al-Hadlaq, Riyadh, 1st ed., 2010.

Al-Nazrat, Mustafa Lutfi Al-Manfaluti, Hindawi Foundation, 2015.

The Revelation of the Message - Chapters on Literature, Criticism, Politics, and Sociology, Ahmed Hassan Al-Zayat, 1st ed., 2018, Dar Al-Adab Al-Arabi for Publishing, Distribution, and Translation, Egypt.